الفصل الثاني

١- فوائد هذه المنهجية في استخراج نظرية الأدب الإسلامي.

٢- الوثائق الخمس لنظرية الأدب الإسلامي:

١- القرآن الكريم .

٢- السنة النبوية الشريفة (الأحاديث).

٣- أدب الصحابة والراشدين (النموذج).

٤- خلود المذهب الإسلامي واستمراره.

٥- طموحات النظرية وهمومها بين الماضي والحاضر والمستقبل.

٣- المحاولات الإسلامية المعاصرة في الأدب والنقد:

١- في المجال الإبداعي (الأدب الإسلامي)

٢-في المجال النقدي (التنظير للأدب الإسلامي)

فوائد هذة المنهجية في استخراج نظرية الأدب الإسلامي

كان الهدف من هذه المقدمة ، التي تكلمنا فيها عن نظرية التعويض ومراحلها ، هو التمهيد لأهمية النظر في استخراج علوم الحضارة الإسلامية ، وأثر هذه النظريات في تبصير مناهج العمل الإسلامي ، في الواقع التطبيقي ، لأن الفكر والنظر يسبق الحركة ويهدي خطواتها ، ويحميها من العشوائية والتخبط.

واذا أردنا أنْ ننفذ هذه المنهجية ، للاستفادة منها في ميدان « نظرية الأدب الإسلامي » على وجه العموم وفي « نظرية الشعر الإسلامي » على وجه الخصوص ، ومن خلال علاقتها مع خريطة الإسلام الكاملة ، فإنه يجب علينا ان نضع مساراً للتنفيذ على الشكل التالى :

١- انطلاقاً من قوله تعالى ﴿ **وتؤمنون بالكتاب كله** ﴾ آل عمران :١١٩ فلا بد من التعامل مع النصوص الشرعية لقضية الأدب والشعر دون إهمال ، لشاردة ولا واردة ، لأنّ منهجية الانتقاء بقصد أو بغير قصد مرفوضة شرعاً في التعامل مع كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام .

٢- لا بد من تحديد شواهد النظرية الأدبية في الإسلام من خلال مصادرها الشرعية ، بعقلية تجمع بين المرونة والخبرة العلمية المتخصصة ، والخضوع لمعطيات هذه النصوص ، دون أدنى تهرب ، ثم إدراك العلاقة المتشابكة بين جميع النظريات الإسلامية ، وارتباطها العميق مع العقيدة والشريعة ونظام الحياة في المفهوم الإسلامي .

٣- تتبع مقاصد هذه النصوص في علوم التفسير والسنة والسيرة وتخليصها من حالة التفسير الموضعي ، ونقلها الى مرحلة النظرية المتكاملة ، التي تضع جميع الشواهد في مواضعها من خريطة النظرية ، واستقراء هذه

الشواهد لتحديد الخاص والعام والحلال والحرام والمكروه والمندوب ، والاستثناء، والخروج بفكرة واضحة التصور ونظرية مترابطة ، تبتعد عن أسلوب طرح الشواهد والتهرب من استخراج « الفقه النقدي » كما فعل العلماء القدامى ، حيث كان العالم يكتفي بذكر الآيات والأحاديث ، ولكنه يكتفي بالدوران حول « أسباب النزول » للآيات أو « أسباب الورود » للأحاديث ، دون أنْ يعطي علماً يوضح ويضيء طريق الأدب الإسلامي .

ولذلك وقع العلماء في عصر الدولة العباسية فريسة للتأثر بنظريات النقد والشعر لأرسطو وغيره ، والسبب في ذلك عائد - فيما أظن - إلى غياب « التنظير الفقهي » في قضية الأدب ، والتهرب من الخوض فيها ، فكانت النتيجة فراغاً وضعفاً في النظريات الأدبية عند المسلمين ، مما جعلهم هدفاً لغزو الثقافات المغايرة لدينهم ، كالثقافة اليونانية والإغريقية .

٤- تتبع جهد المحاولات الإسلامية المعاصرة في البحث عن « نظرية الأدب الإسلامي » لمعرفة هذه المحاولات ، وتقييمها ، وعرض جهودها على المقاييس السابقة : العقيدية والنظرية والتطبيقية والعلمية والثابت والمتغير والوثائق الخمس ، من اجل تصويب وتصحيح الفهم والتطبيق بحثاً عن المسار العلمي ، الذي يؤكد قضية النظرية والتأصيل الشرعي ، والخضوع له من اجل هداية العمل ، وتأكيداً لقدرة هذا الدين وصلاحه في اثبات الخير في كل زمان ومكان ، اذا تخلى أهله عن العجز والكسل والفوضى في العمل .

٥- لابد « للفقيه الادبي » الذي يتصدى لقضية التنظير في « نظرية الأدب الإسلامي » مِنْ أنْ يجمع في علمه وخبرته بين أمرين مهمين حتى يكون التنظير جامعاً لصفتي « الإسلامية » «والعلمية » وهما :

١- **الأمر الاول** : العلم العميق بشواهد النظريات التي تخص الأدب في القرآن الكريم وجمع الآيات التي تخص اللغة ، والبيان ،

والشعر والكلمة وخطرها ، وحكم الإسلام فيها ، ثم ما يخص هذه المواضيع من السنة الشريفة (الأحاديث) أو (التقرير) لأدب الصحابة وآراء علماء التفسير في ذلك .

٢- **الأمر الثاني** : اتقان علوم الأدب وفنونه ، من حيث العلم العميق بتاريخ الأدب العربي وعصوره والأنواع الأدبية ، والمدارس الفنية التي سادت فيه والمؤثرات الداخلية والخارجية ، التي أثرت في الإنتاج الأدبي ، بالإضافة إلى التمرس بفقه اللغة العربية وعلومها ، حتى يكون في منهجه مُلِماً بالجوانب العلمية لأهل الصنعة الأدبية والمنهجية الفقهية وبذلك يكون مؤهلاً من الجانبين « التخصصي والشرعي » للتنظير لهذا الفن .

« الوثائق الخمس لاستخراج نظرية الأدب الإسلامي »

١- الوثيقة الأولى : « القرآن الكريم »

وهو المصدر الأول الرئيس لشمولية الإسلام ، عقيدة وشريعة ونظام حياة ، كلام الله سبحانه وتعالى الفصل في كل قضية من قضايا الإسلام ، وكل مصادر الإسلام الأُخرى ، تابعة له مفصلة لمجمله، خاضعة لأمره ، وقد وقع كثير من الباحثين عن شواهد النظرية الأدبية من القرآن الكريم في خطأ عظيم ، وهوتضييق الشواهد الأدبية ، لضيق أفُقهم في فهم نظرية الأدب ، مع انها كثيرة ومتعددة ، ويمكن تصنيف تلك الشواهد إلى ثلاثة خطوط رئيسة هي :

١- **الخط الاول** : امتنان الله سبحانه وتعالى على الانسان بنعمة اللغة والبيان ، ويفهم من هذه الآيات أنّ البيان نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى ، وعلى الإنسان ان يُسَخِر هذه النعمة للتعبير عن نفسه وحاجاته ، وهي فطرة ربانية ، حيث جعل الله للجنس البشري اللغة التي يتفاهم بها مع اخيه الإنسان ، وأنّ البيان البشري بشكل عام هو فطرة ربانية ، ومنه فنون الأدب :

الشعر والنثر والقصة والفنون الأدبية على اختلاف أنواعها ، ولا حرمة فيها إذا استعملت بشروطها الشرعية ، ومن شواهدها الكثيرة قول الله سبحانه وتعالى :

١- ﴿ **وعلم آدم الاسماء كلها ..** ﴾ البقرة : ٣١ .

٢- ﴿ **واختلاف السنتكم والوانكم ....** ﴾ الروم : ٢٢ .

٣- ﴿ **علمه البيان** ﴾ الرحمن : ٤.

٤- ﴿ **ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين** ﴾ البلد : ٨ ، ٩ .

٥- ﴿ **إنَّه لحق مثلما أنكم تنطقون** ﴾ الذاريات: ٢٣.

٦- ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾ النجم : ٣ .

وآيات تتكلم عن اللغة وفضلها وآيات عن لغة الحيوان ، الطير ، والنمل ....

٢- الخط الثاني : قيمة البيان وخطره ، وأنَّ الانسان محاسب على هذه النعمة ، إذا خرجت عن وظيفتها ، وفي هذا مدخل شرعي للبحث عن نظرية الالتزام والأدب والأخلاق ومن شواهدها قول الله سبحانه وتعالى :

١- ﴿ **ما يلفظ من قول الاّ لديه رقيب عتيد** ﴾ ق : ١٨.

٢- ﴿ **ويل لكل همزة لمزة** ﴾ الهمزة : ١.

٣- ﴿ **همّاز مشاء بنميم** ﴾ القلم : ١١.

٤- ﴿ **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً** ﴾ الاحزاب: ٧.

٥- ﴿ **لا يُحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم** ﴾ النساء : ١٤٨.

٣- الخط الثالث : قضية الشعر وتفاصيلها في القرآن الكريم (المكي

والمدني) وسنطرح شواهدها بالتفصيل في موضوع « القرآن الكريم والشعر».

وتمثل هذه الوثيقة المقاييس الشرعية وثوابتها للقضية الأدبية من كلام الله سبحانه وتعالى، لأن الأدب فن يعتمد البيان ، وهو فن قولي له مقاييسه التي تميزه عن باقي فنون القول في الحياة البشرية ، وقد بين القرآن الكريم ضوابطه للبيان البشري ، بشكل عام ، وللبيان الفني بشكل خاص، كما اتضح ذلك من الآيات التي تناولت فن الشعر . والقرآن الكريم معين لا ينضب للمنظر الأدبي في البيان والفنيات والأنواع الأدبية المختلفة ، يقول عمر عبيد حسنة في مقدمته لكتاب نجيب الكيلاني : (فالقرآن الكريم استخدم القصة والحوار ، والمثل والمواقف الخطابية ودعا إلى المباهلة ووظف الحدث التاريخي ، واعتمد الجدل الفكري ، واسلوب المواجهة والتقرير المباشر والوعظ المباشر في سبيل تحقيق اغراضه)[1]

٢- الوثيقة الثانية : السنة النبوية الشريفة (الأحاديث)

وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، هي التفصيل الأمين لمجمل القرآن الكريم ، فما لم يُفصل من القرآن الكريم توضحه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي قضية الأدب والشعر بشكل خاص جاءت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتفصل الأمر في مجموعة من الأحاديث التي وجهت المعركة الأدبية التي كان يقودها الشعراء الصحابة ضد الشعراء المشركين ، في (المرحلة المدنية) وفي هذه الأحاديث ما يكفي للإجابة على كثير من الأسئلة التي تطرحها نظرية الأدب أو نظرية الشعر كنوع أدبي متميز ، وخاصة ما يُهم قضايا : غايات النظرية الأدبية وتفسير الظاهرة الأدبية ، الالتزام في الأدب ، قيمة الأدب وأثره في الحياة الإنسانية ، ويمكن تصنيف الأحاديث الشريفة في قضية الأدب وبخاصة في فن الشعر إلى نوعين :

---

(١) مقدمة كتاب «مدخل إلى الأدب الإسلامي» نجيب الكيلاني / سلسلة كتاب الأمة ١٤/ قطر.

١- **النوع الاول** : وهو الذي يتناول قضية الشعر وتفاصيلها بشكل خاص ومباشر .

٢- **النوع الثاني**: وهو الذي يتناول خطر الكلمة وأثر البيان وقيمة البيان والأدب بشكل خاص ومسؤولية الكلمة ، ويمكن للسنة (الأحاديث) أنْ تكون مادة غنية للمنظِّر الأدبي ، إذا جمع بين سعة الأُفق والخبرة الكافية ، في إدراك مقاصد النظرية الأدبية وأحسن الاستقراء والاستنتاج منهما ، وسنفصل ذلك في المرحلة المدنية ، وهي الوثيقة الشرعية الثانية بعد القرآن الكريم .

٣- الوثيقة الثالثة : أدب الصحابة الكرام (الشعر والنثر)

وتكمن أهمية هذه الوثيقة في أمور كثيرة منها :

١- أنَّها تمثل النموذج الفني الإبداعي والوثيقة الفنية للأدب الإسلامي ، الذي استجاب لله ورسوله، فأنتج أدباً إسلامياً تتجسد فيه المقاييس القرآنية والنبوية ، في فنون أدبية متعددة : كالشعر ، والرسائل والوصايا والمثل والحكمة والخطابة .

٢- إنّ هذا الأدب اصبح جزءاً من التشريع الإسلامي والسنة النبوية (التقرير) ،لأنه نال إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم ورضاه ، وسكوت الرسول عليه السلام وإقراره للشعراء الصحابة على شعرهم ومواقفهم يعتبر من المرجعية الشرعية ، التي تجعل من أدبهم وثيقة شرعية وفنية وعملية للأدب الإسلامي ، يفرض على المنظِّرين ، استخراج مقاييس النظرية الأدبية الإسلامية من أدبهم الذي نال إقرار النبي عليه السلام .

٣- إنّ هذه الفترة ، هي التي تمثل خير القرون وكانت السيرة النبوية ، النموذج الشامل للإسلام في مختلف جوانب الحياة من عقيدة واقتصاد وتربية وجهاد وسياسة وأدب . حتى تكون سيرته عليه السلام هي النموذج الجامع للإسلام نصاً وتطبيقاً ، وهي النموذج المقدم لأبناء الأُمة من بعده إلى يوم القيامة ، وقد أشرف الرسول عليه السلام بنفسه على تطبيق منهجيات القرآن

والسنة في الأدب يوم أن أشرف عليه السلام بنفسه على توجيه الأدب وتعليم شعراء الدعوة ، وحيث ترك لهم الجانب التخصصي الفني كأصحاب خبرة في فن الشعر ، حتى يتمكنوا من نقل الشعر العربي الجاهلي فنياً إلى مرحلة الشعر الإسلامي فنياً ، وكان رائد ذلك حسان بن ثابت رضي الله عنه ، حين فهم مقاصد الإسلام من الفن الشعري ، فخلصه من الخيال المريض ، ونقله إلى مرحلة الخيال المنضبط بأهداف الدعوة، وكل ذلك تحت رعاية الرسول صلى الله عليه وسلم وإشرافه .

ومن الناحية الزمنيّة ، فهو يشمل الشعر والنثر ، الذي انتجه المسلمون طوال الفترة النبوية في المرحلتين (المكيّة والمدنيّة) وفترة الدولة الراشديّة ، وهي فترة تزيد عن خمسين عاماً ، انتج فيها الصحابة والمجتمع الإسلامي دواوين ضخمة من الأدب الإسلامي ، في معظم الأنواع الأدبيّة السائدة في عصرهم فكان منها :

١- ديوان من الشعر ٢- ديوان من الحكم والأمثال والتوقيعات

٣- ديوان من الوصايا والنصائح

٤- ديوان من الخطب ٥- ديوان من الرسائل[١].

وبهذا تكون هذه الفترة ، هي التي قدمت نصوص النموذج الأدبي للإسلام ، وهي النصوص التي نالت تقرير الرسول عليه السلام في سيرته الشريفة ، وهي النموذج لأدب إسلامي مقر شرعيّاً ، من الذي لا ينطق عن الهوى . يقول عبدالباسط بدر : (لا يمكن أن تكون هناك نظريّة للأدب الإسلامي بدون نصوص إسلاميّة تقوم عليها وتستخرج منها)[٢] .

---

(١) انظر مثلاً مقدمة عمر رأفت الباشا لكتاب (شعر الدعوة الإسلاميّة) تحقيق عبدالله الحامد.

(٢) نقلاً عن مجلة المجتمع الكويتيّة عدد ٩٦٦ سنة ١٩٩٠ عن مقالة عبدالرازق ديار بكرلي.

لقد تجاهل دعاة الأدب الإسلامي المعاصر أدب الصحابة ، في بحثهم عن نماذج ونصوص تستخرج منها مقاييس للأدب الإسلامي ، واعتبروا أدب الصحابة نتفاً لا تروي غليلهم ، وضلوا على وجوههم في شعاب الآداب فلم يجدوا نموذجهم الإسلامي ، لأنهم يجهلون تاريخ الأدب العربي ، وما يعلمونه من تاريخ الأدب العربي ، ثقافة عامة ، لا يَصْلح التنظير من خلالها ، بالإضافة إلى جهلهم بالنظريّة الأدبيّة نفسها .

وتمثل الوثائق الثلاث السابقة (القرآن الكريم - الحديث الشريف - ديوان الأدب في الفترة النبويّة والراشديّة) المصادر الشرعيّة والوحيدة، لكل ما يخص نظريّة الأدب الإسلامي في .. النظريّة والتطبيق والنص الأدبي واستخراج المقاييس ، وهي المصادر الوحيدة لإثبات فقه القضيّة الأدبيّة في الإسلام ، وبغير هذه المصادر ، لا يمكن للتنظير أن يصبح إسلامياً شرعياً ، كما أن هذه المرجعيّة ، ملزمة للأدب الإسلامي في اللغة العربية وجميع آداب اللغات الإسلاميّة الأخرى ، دون استثناء، لتحديد الثوابت النظريّة من أصولها الشرعية والفنيّة من هذه المصادر .

٤- الوثيقة الرابعة: وثيقة خلود المذهب الإسلامي واستمراره

وتمثل هذه الوثيقة استمرار المذهب الإسلامي في الأدب ، عبر قرون التاريخ العربي والإسلامي في أدب اللغة العربية والآداب الإسلاميّة ، وهي اثبات لقدرة هذا الدين ، في قلوب أتباعه من خلال استمرار مذهبه الأدبي ، وقدرته على توجيه الأدب العربي لصالحه ، وهي الوثيقة التي تنفي تهمة الموت والوأد التي يلعبها دعاة التغريب .

حيث حاول دعاة التغريب تمرير أفكارهم الخبيثة ، التي تصور أنَّ الإسلام أنتج أدباً إسلاميّاً في فترة الدعوة الأولى (أدب الصحابة) وبعدها انتهى تأثير هذا الإسلام على الأدب العربي ، وعاد الأدب العربي إلى سابق عهده قبل

الإسلام ، بمؤثرات قليلة من الإسلام .

ولذلك نجد أنَّهم يحاولون وباستمرار طمس حياة مذهب الإسلام في الأدب أو النظريّة الأدبيّة الإسلاميّة ، وينكرون استمرارها من أجل تشويه الأدب العربي وحرف مساره في محاولة لوأد هذا الأدب ، من خلال عدم تشجيع الدراسات النقديّة الجامعيّة للتنقيب عنه ، واعترفوا به فقط ضمن تاريخ الأدب العربي كمذهب منقرض لا امتداد له .

وهنا يتأكد الواجب الكبير على دعاة النظريّة أو المذهب الإسلامي في الأدب ، أنْ تنصب دراستهم النظريّة والعمليّة على الأدب العربي ، لإثبات إسلاميّة هذا الأدب ، لأن هذا الإثبات معناه استمرار حياة وخلود المذهب الإسلامي ، وفي هذا تحصين للأدب العربي من الهجمة التغريبيّة التي تحاول تفريغه من خصوصيته، وإلحاقه بالآداب الغربيّة .

لقد قام دعاة التغريب بطرح نظريّات الإلتزام في الأدب الغربي ؛ لإغراق العقل العربي بها، ولطمس معالم الإلتزام الذي طرحه الإسلام في الأدب ، قبل قرون إمعاناً في تعميق الغزو الثقافي ، ودفعاً له باتجاه التبعيّة ، مع أن الأدب العربي هو أدب إسلامي في تياره العريض الغالب ، ولكن المد الإسلامي في داخله يتفاوت حسب موجات الوعي الإسلامي العام من حين لآخر .

ويمكن استخراج النماذج الإسلاميّة الرائعة في الأدب العربي عبر عصوره المختلفة ، التي تثبت إسلاميّة هذا الأدب نثراً وشعراً ، حتى نصل إلى أدبنا المعاصر ، مما يجدد أملنا في كشف النظريّة الإسلاميّة في الأدب ، وتخليصها من عمليات الوأد والتشويه ، وإثبات أصالتها وعراقتها وجذورها الممتدة في تاريخ الأمة ، وبهذا نندفع خطوة إلى الأمام نحو الالتحام بجذور الأمة ، لتمتد شجرة الإسلام إلى مستقبلها المنتصر الأكيد بإذن الله سبحانه وتعالى .

ومتابعة هذه الوثيقة عملياً، معناه انتقال النظريّة الإسلاميّة من مرحلة

المقاييس الأدبيّة المستخرجة من الوثائق الشرعية الثلاث ، إلى ميدان التطبيق في الأدب العربي عبر عصوره في شعره ونثره ، ومحاكمة هذا الأدب بهذه المقاييس الإسلاميّة لمعرفة مدى استجابته للنظريّة الإسلاميّة ومقاييسها ، ثم اغناء وتصويب مسارها في الفهم والتطبيق ، واكتشاف المدارس الأدبيّة التي ظللها المذهب الإسلامي في الأدب .

وفي ذلك ميدان واسع للإثراء ، شريطة أنْ تتضح النظريّة أو المذهب والمقاييس أولاً ، ثم تبدأ عمليّة التطبيق التي تحاكم بمقاييس النظريّة ، أما اختلاط النظريّة والتطبيق وعدم تمايزهما ، فهو طريق في اتجاه الفوضى النقديّة في التنظير والتطبيق .

وفي هذه الوثيقة ميدان واسع للتطبيق على نصوص الأدب العربي عبر عصوره ، واثبات لخلود المذهب أو النظريّة الإسلاميّة في الأدب العربي والآداب الإسلاميّة الأخرى ، من خلال الاستجابات التي ظهرت في الأنواع الأدبيّة المختلفة ، وخضوع هذا الإنتاج للخيال الإسلامي وأصوله .

٥- الوثيقة الخامسة:

التعبير عن طموحات النظريّة الإسلاميّة وهمومها في ظل الثوابت والأولويات الشرعيّة:

وهي وثيقة مهمة ، وتأتي أهميتها من خلال الاعتراف بحق أبناء هذا العصر ، في التعبير عن طموحات النظريّة الإسلاميّة وهمومها ، في ضوء الثوابت والأولويات الشرعيّة والخضوع لها والانضباط بها .

وهو حق لكل أديب أو ناقد مسلم في كل الأزمنة والأمكنة ، أن يجتهد ويفكر باستمرار في تطوير المناهج والوسائل والأدوات التي ترقى بالنظريّة الإسلاميّة وتطبيقاتها في الأدب ؛ لتعميق النظريّة، والإضافة إليها ، من خلال حشد

الطاقات والخبرات العلميّة والتذوقيّة والمنهجيّة التي تجد بين حين وآخر ، لخدمة النظريّة في الفهم والتطبيق وهذا معناه فتح باب الاجتهاد للتنظير الفقهي الأدبي ، وهذا أمر لا خلاف فيه ولا انكار له .

ولكن دعاة نظريّة الأدب الإسلامي ضلوا طريقهم في توظيف هذه الوثيقة، لأنهم أضاعوا المنهج العلمي الذي يُبصِّرهم بفقه هذه الوثيقة ، يوم أن أهملوا الوثائق السابقة (القرآن الكريم ، الحديث الشريف ، أدب الصحابة والراشدين ، وثيقة الخلود والاستمرار) فلم يستخرجوا منها النظريّة والمقاييس ، ولم يكلفوا أنفسهم عناء التطبيق في الأدب العربي ، وانطلقوا من سلوكيّة منهجيّة تعيد خلط الوثائق الخمس ، في سلة واحدة، دون تمييز بين الأساس (النظريّة) والإمتداد (التطبيق) .

وكانت السلة المختلطة من الوثائق الخمس، تحت توجيه (الوثيقة الخامسة) وثيقة الانطلاق من الطموحات، دون نظريّة إسلاميّة تستخرج من المصادر الشرعية التي تأخذ منها الأمة فقه دينها.

وحيث كانت الوثيقة الخامسة، هي المنطلق الأول للمنظِّرين فكان كل واحد منهم يرى، أن من حقه أن يفكر في نظريّة للأدب الإسلامي، ولكنه نسي أنه لا يملك حق التنظير الذي اعترفت به (الوثيقة الخامسة) إلا بعد أنْ يخضع لمعطيات الوثائق السابقة، لأنها هي مصدر المرجعيّة الشرعيّة والفنيّة في النظريّة والتطبيق.

وقد يقول قائل أنهم استشهدوا بالآيات والأحاديث التي تدعم تنظيرهم ، وفي هذا كفاية ، وأنا أقول أنّهم انطلقوا من ذواتهم وهواجسهم وحماسهم ، وكان استعمالهم للآيات والأحاديث وشعر الصحابة ، استعمال من يفكر أولاً ثم يأتي بالآية والحديث ، لتشهد على صحة تفكيره ، وهذا ليّ لعنق المصادر الشرعية ، حتى تشهد زوراً لصالح تنظيره . لأنه جعل من هواه أصلاً ، وجعل من الشرع

غطاء لذلك الهوى ، نعم إنّهم كانوا يتزينون بالشواهد الشرعيّة ولكنهم لا يخضعون لها ، ولا ينطلقون منها .

لا يملك أحد أنْ يلوي عنق الأمة إلى نظريّة في الأدب لم تستخرج ثوابتها ومقاييسها من المرجعيّة الشرعيّة ، لأن الإنطلاق من الهواجس ، والمخاوف ، والحماس الفردي ، ورده الفعل على الواقع ، أو مزج بضاعة الواقع ونظرياته المسيطرة بشيء من الشواهد الشرعيّة ، وبطريقة مضللة ، لا يشكل خطوة في الوصول إلى الشرعيّة .

لقد ظهرت مدرستان من مدارس التنظير النقدي للأدب الإسلامي ، ولكنهما فشلتا فشلاً ذريعاً في التأسيس لثوابت النظريّة الإسلاميّة :

١- **المدرسة الأولى** : مدرسة النقد العربي القديم في العصر العباسي ، حيث قادها تلاميذ الفلسفة اليونانيّة ، يوم أن خلطوا الفكر النقدي اليوناني مع الإسلام خلطاً عجيباً مزرياً، فكانت نتيجة ذلك طمس مذهب الإسلام الأدبي ، وجر الأدب العربي إلى جفاف مدرسة البلاغة اليونانيّة ، التي كانت سبباً من أسباب جمود الأساليب في الأدب العربي في عصور الانحطاط ، أمثال: الجرجاني وابن قدامة ، والجاحظ ، وابن المعتز ، والقزويني .(١)

٢- **المدرسة الثانية** : وقد قادها «محمد قطب» من خلال كتابه «منهج الفن الإسلامي» ثم تجمع حول كتابه دعاة الأدب الإسلامي ؛ ليجعلوا منه مرجعاً يدودون حوله ، فكانت مدرسة «الشموليّة الفوضويّة» التي تنطلق من حق التنظير في (الوثيقة الخامسة) ، ولكنها تقفز على معطيات الوثائق السابقة ، وإذا احتاجتها لم تخضع لها ، وانما تتزين بها ، وهي امتداد للشموليّة

(١) راجع كتاب (أثر الفكر اليوناني على الجاحظ وابن قدامة) محمد علي المصري / دار عمار عمان.

الفوضويّة في الجانب الفكري . وهي مدرسة قامت على خلط الفكر الإسلامي ، مع طموحات النظريّة الأدبيّة ، مع الأمثلة الانتقائيّة التي تزين التنظير الفردي ، والمعروف أن محمد قطب من المفكرين المسلمين المعاصرين ، يحمل شهادة في الأدب الانجليزي ، ومعرفته بتاريخ الأدب العربي هي معرفة عامة ، لا تؤهله للتنظير له ، وكذلك كان تعامله مع المصادر الشرعيّة والفنيّة تعاملاً باهتاً ، فقد حاكم الأدب العربي من خلال مقاييس الأدب الانجليزي ، ثم من خلال الفكر الإسلامي عامة ، ولذلك نظر لفن اسلامي يشبع ذوقه الفني الفردي ؛ ولم يخرج بنماذج تعجبه كثيراً من الأدب العربي ، ولذلك اضطر إلى أن يخرج باسلاميّة عجيبة في نماذجها، حيث جعل من «طاغور الهندي ، وج . م سينج الإلندي» نماذجاً لهذه الإسلاميّة الأدبيّة ، وعندما ذكر نماذج من الأدب العربي ذكرها متباعدة ، لا رابط بينها إلا المقاييس الفرديّة ، ولم يعجبه أدب الصحابة الذين أخذوا التزكيّة لأدبهم من الله ورسوله وسوف نفصل حال هذه المدرسة في المحاولات الإسلاميّة المعاصرة التي نظّرت للأدب الإسلامي .

المحاولات الإسلامية المعاصرة في المجالين : الإبداعي والنقدي

١- في المجال الأول (الإبداعي : إنتاج الأدب الإسلامي)

وهو التيار الذي ركز جهوده لإنتاج أدب إسلامي في : الشعر والرواية والقصة والمسرحية ، والمقال ، والحديث الإذاعي ، .... وغيره من الفنون .

وقد نجح هذا التيار في كثير من الفنون الأدبية ، وقدم لنا نصوصاً إسلامية المضمون والروح ، جيدة المستوى من الجانب الفني ، حيث اعتمد كل واحد منهم على خبرته الشخصية في تكوين واختيار أداته الفنية ، ضمن فنيات الأدب العربي المعاصر المتأثرة بالقديم والجديد ، لأنه لا يملك نظرية إسلامية في الأدب .

وفي ظني أنّ سبب نجاح هؤلاء في انتاجهم الأدبي يعود لتوظيف مواهبهم في التعبير عن ذواتهم ، وهذا شيء طبيعي لكل من امتلك موهبة ؛ أنْ ينجح في التعبير عن نفسه من خلال الفن الذي أبدع فيه .

ومع ذلك ، يجب ان نتذكر أنَّ هذا الأدب بقي دون نقد يقيّمه ، لأنه لم يتواجد الناقد الإسلامي المجتهد الذي يستخرج النظرية الإسلامية في الأدب ، ويحاكم هذا الأدب إلى مقاييسها من خلال تطبيقاتها ، ولذلك هو أدب إسلامي يقوم على التصور الفردي للفكرة الإسلامية وأدبها ، وبمقاييس الأدب العربي المعاصر وما اعتوره من تيارات نقدية متعددة المشارب . ومن أسماء هذا التيار الإنتاجي التي نجحت في الوصول للقارىء العربي .

١- في فن الشعر :

احمد محرم ، عمر بهاء الدين الاميري ، محمود حسن اسماعيل ، علي احمد باكثير ، هاشم الرفاعي ، سيد قطب ، امين شنار ، يوسف القرضاوي ، يوسف العظم ، محمد محمد التاجي ، الحبيب المستاوي ، محمد علي صوان ، مبارك الخاطر ، كمال رشيد ، مأمون جرار ، احمد مظهر العظمة ، عبد الرحمن العشماوي ، عبد الرحمن العبادي ، محمد المنتصر الريسوني ، محمد كامل الآني ، عصام العطار ، احمد محمد صديق ، عبد الرحمن بارود ، شريف القاسم ، جمال فوزي ، محمد الحسناوي ، عبدالله عيسى السلامة ، محمد منلا غزيل، احمد حسن القضاة ، محمد مصطفى حمام ، عبدالله كنون الحسنى ، عدنان النحوي ، زهير المزوق ، كمال الوحيدي ، علال الفاسي ، وليد الأعظمي ، يحيى الحاج يحيى ، محمد صيام ، خالد عبد القادر السعيد ، داود معلا ، غازي الجمل ، بسام ساعي ، خالد ابو العمرين ...

٢- في فن القصة والمسرحية :

نجيب الكيلاني ، احمد علي باكثير ، احمد بدوي ، امين شنار ، عبد الله

عيسى السلامة ، محمود شيت خطاب ، احمد العناني ، عبد الله الطنطاوي ، زياد ابو الحمص ، يوسف القرضاوي ، جهاد الرجبي ، عماد الدين خليل ....

٣- وفي فن القصة والكتابة للاطفال :

عبد الحميد جودة السحار ، محمد عطية الأبراشي ، محمد احمد برانق ، محمد موفق سليمة، محمد علي قطب ، محمد ابراهيم سليم ، نزار النجار ، علي يوسف علي ، سيد قطب ، محمد جمال عمرو ، .....

٤- وفي الدراسات والابحاث :

وهناك جهد مبارك لعدد كبير من الباحثين والعلماء في مجال تعميق العلاقة مع التراث، ومواجهة التغريب وكشف مخاطره ، وهو جهد عريض من جميع الأوساط القومية والجامعية والإسلامية ، وحيث قام علماء المجامع اللغوية والأدباء والنقاد الذين يقتفون آثارهم ، بإحياء مخطوطات التراث الأدبي للأمة ، بهدف زيادة التأثر به والتلاحم معه ، والاستفادة من عملية الإحياء في تأصيل الالتحام الثقافي العام بجذور الأمة ، ومن اشهر دعاة الثقافة العربية الإسلامية في هذا المجال :

العلامة شكري فيصل ، محمد محمود شاكر ، العلامة الدكتور محمد محمد حسين ، علي الطنطاوي ، أحمد راتب النفاخ ، أنور الجندي ، عوض القرني ، محمد احمد الحوفي ، شوقي ضيف، محمد أحمد الغمراوي ، محمود شيت خطاب ، سعيد الافغاني ، محمد المبارك، فخر الدين قباوة ، عمر رأفت الباشا ..... وغيرهم .

٢- في المجال الثاني : (النقدي : التنظير للأدب الإسلامي)

« نظرة تاريخية عامة »

ويهمنا الوقوف على جهد هذا التيار ، الذي أخذ على عاتقه قضية التنظير للأدب الإسلامي ، والتعرف عليه من خلال ما قدم في هذا المجال :

١- **مقدمة** : يطيب للكثيرين من دعاة « النظرية الإسلامية للأدب » أن يعتبر الرافعي والمرصفي ... وغيرهم ، اصحاب الخطوات الأولى في التنظير للأدب الإسلامي .

ومع أن هؤلاء يحملون قسطاً كبيراً من العواطف والمشاعر والمواقف الإسلامية في نقدهم ، إلا أن مسارهم ، بقي متأثراً إلى حد كبير بالنقد العربي القديم .

ولم يطرح الرافعي بالذات نظرية للنقد الإسلامي ، وانما دار في فلك النقد العربي القديم ، وكذلك تأثر بمرحلة الصراع الدائر بين دعاة الإحياء التراثي وبين دعاة النقل عن اوروبا ، وكانت آراء الرافعي في معظمها تدور حول الأفكار النقدية التالية:

١- جودة الأدب في نظرته الشاملة ، وتمثيله للطبيعة ومطابقته للواقع ، وحسن لفظه ونادر معناه .

٢- إن شخصية الأديب ، في تصويره لمذهب جماعة وطريقتهم في الأدب ، على أنْ يتبع أسلوبه الخاص ، لأنّ الأسلوب صورة صادقة لنفسية الأديب وفكره.

٣- إن تقدير الناقد للأديب ، يجب أن يكون بناء على قيمته الأدبية فقط .

٤- أنْ يحتذي الشاعر حذو فحول الشعراء الاقدمين محنكاً بالتجربة والحكمة.... (١)

وفي نهاية العقد الخامس من هذا القرن ، عادت تيارات الصحوة الإسلامية ، لتطرح مفهوم الشمولية الإسلامية ، وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، لأنه دين الله سبحانه وتعالى ، وبدأ المهتمون منهم بقضية الأدب، التنظير للأدب

---

(١) بتصرف بسيط عن كتاب (نشأة النقد الأدبي) عز الدين الأمين / دار المعارف المصريّة.

الإسلامي ، استكمالاً لشمولية الإسلام ، ومواجهة لسيل التغريب الجارف ، الذي يقوده تلاميذ (جحر الضب الأوروبي) .

ولكن هذه التنظيرات ، كانت تفتقد الى المرجعية الشرعية ، والمرجعية الأدبية المتخصصة ، وبقيت تدور في فلك العموم والشمول الذي تحكمه النظرات الفردية المتعسفة التي حكمت فكر الصحوة الاسلامية ، لأنها لم تستطع الانتقال من الشمولية العقيدية الى الشمولية النظرية المتخصصة . وإن كنا لا ننكر أن هذه المحاولات كانت تحركها النوايا الصادقة ، من أفراد تدفعهم الغيرة على مصلحة الأُمة ، لانهم أرادوا لهذا الثغر أن يُسد فلا يؤتين من قبلهم .

وفي ظني أن اكثر هذه المحاولات فشلت في تنظيرها للأدب الإسلامي ؛ لأنها لم تكلف نفسها عناء البحث عنه في التجربة الإسلامية الأُولى للأدب ، التي تمت في (السيرة النبوية المباركة) هذا من جانب ومن جانب آخر ان هذه الفئات المنظِّرة ، انطلقت من منطلق يخالف منهج العلم ، لأنها ابتعدت عن التأصيل الشرعي والتخصصي ، وركبت حماسها الفردي وتصورها المحدود في جو من الهزيمة ، امام النظريات الوافدة للأدب الغربي ، على يد دعاة التغريب ، ولذلك جاءت تنظيراتهم أشبه بردود الفعل على بضاعة الغرب الأدبية ، ولأنهم صمموا على الانطلاق من طموحاتهم وهواجسهم ومخاوفهم ، ولأنهم أداروا ظهورهم لمنهج فقهاء الأمة المطروق في استخراج احكام هذا الدين في نظرية الأدب وفي كل النظريات . والفقيه الأدبي (الناقد المجتهد) لا يبدأ من ذاته ولا من هواجسه ، ولا من الصفر ، ولا من ردود الفعل ، وإنما يبدأ مما بدأ به فقهاء الأُمة ومجتهدوها ، في كل العصور ، وفيما يخص النظرية الأدبية واستخراج المقاييس النقدية ، فانني أتصور أن مصادرها التي يجمع عليها أهل الفقه والعلم لا تتعدى (القرآن الكريم ، السيرة النبوية الشريفة وأدب الصحابة الكرام (الشعر والنثر) .

هذه هي المصادر الشرعية للنظرية ، ثم تأتي المصادر الأدبية المتخصصة في تاريخ الأدب العربي ، ومدارسه الفنية ، وانتاجه عبر العصور ... ، ولكنهم تعاملوا مع هذه المصادر بطريقة باهتة ، وأهملوها وركبوا رؤوسهم في كثير من الأحيان(٢) .

ويمكن رصد المحاولات والجهود المبذولة من دعاة نظرية الأدب الإسلامي ضمن مسارين ، هما :

الأول : مسار أهل التخصص

وهم جماعة من دعاة الأدب الإسلامي في الجانب النقدي ، لديهم من العلم في الجانبين«الشرعي والأدبي » ما يؤهلهم للخوض في مشروع كهذا .

وكان من الممكن لأربعة من كبار النقاد الإسلاميين هم : الامام الشهيد سيد قطب ، والعلامة الدكتور محمد محمد حسين ، والعلامة الدكتور شكري فيصل ، والباحث المنقب عمر رأفت الباشا ، أن يقدموا للنظرية الإسلامية في الأدب كل ما يخصها في الجانب التنظيري وفي بعض الجوانب التطبيقية ، من (الوثائق الثلاث الأولى) لأنهم من أهل العلم والإبداع والتخصص والقضية الأدبية، فسيد قطب : جمع بين الموهبة الأدبية ، والعلم بتاريخ الأدب العربي ، وتفسير القرآن الكريم . ومحمد حسين : جمع بين علمه بتاريخ الأدب العربي والصراعات الثقافية الفكرية ، وتمكنه من لغة القرآن الكريم وشكري فيصل عالم جمع بين تاريخ الأدب العربي ، والتيارات النقدية ، والتجربة النقدية الذاتية ، والعلم الواسع بتاريخ السيرة، وتفسير القرآن الكريم ، وعمر الباشا : صاحب علم وخبرة واسعة في النصوص الأدبية المتناثرة ولَمِ شتاتها .

ولكن هؤلاء النفر ، انشغلوا عن البحث الأدبي بقضايا الإحياء العام للتراث ،

---

(٢) أنظر تفصيل هذا في «الوثائق الخمس» من هذا الكتاب.

وبالتحصين الثقافي لفكر الأمة ، مما حرم النظرية الأدبية من خيرة فقهاء النظرية الأدبية في عصرنا . وبذلك قضوا نحبهم – رحمهم الله – جميعاً قبل أنْ ينجزوا فيها كثيراً مما يؤمل منهم ، ومع ذلك نجد لهم جهوداً مباركة متناثرة هنا وهناك ، هي افضل ما طرح ، لو أنه استفيد منها[1] .

الثاني : مسار مدرسة (منهج الفن الإسلامي) :

وقد سمينا هذه المدرسة ، باسم أشهر الكتب التي نظَّرت لفكرتها ، وهو كتاب (منهج الفن الاسلامي) للمفكر الإسلامي الكبير محمد قطب ، حيث يُعتبر هذا الكتاب الضخم المرجع الاساس الذي تحلق حوله مجموعة من الكتاب المنظِّرين لفكرة الأدب الإسلامي ، وكان محمد قطب قد أخذ أُصول فكرته من صلاح الدين السلجوقي وشقيقه الشهيد سيد قطب ، حول (انبثاق الفن الإسلامي من التصور الإسلامي للكون والحياة) وحيث انحرف بها محمد قطب من عالم التنظير الأدبي الى عالم التنظير الفكري ، وحتى نتعرف على قيمة هذا الكتاب وخطره ، لا بد من معرفة المنطلقات التي بدأ منها محمد قطب عمله ، وقد كان لهذا الكتاب الأثر الكبير في تشتيت جهود العاملين للنظرية الإسلامية في الأدب ، لأنهم التفوا حول كتابه وجعلوا منه منهجاً يُحتذى ، وكانت معظم الدراسات التي قدمت للفن الإسلامي أسيره لمنهجه الفكري المغرق في عموميات التصور الإسلامي ، والبعيد عن منهج الدراسات النقدية ، لبعده عن التأصيل الشرعي والمنهجي لأهل العلم في الصنعة الأدبية .

---

(١) من كتب سيد قطب في النقد: مهمة الشاعر في الحياة، أسس النقد الأدبي، تفسير آيات الشعر في الظلال، ومحمد محمد حسين له: الاتجاهات الوطنيّة في الأدب العربي وشكري فيصل له: المجتمعات الإسلامية وتطورها اللغوي والأدبي، تطور الغزل، مقالات في النقد، وعمر الباشا: اشرافه على موسوعة الأدب الإسلامي في الدراسات العليا.

محمد قطب و « منهج الفن الاسلامي »

مقدمة : لا بد من الاعتراف في البداية أن التنظير للأدب الإسلامي هو قضية فقهية متخصصة ، وليست قضية فكرية عائمة ، ولذلك لا يحق لأصحاب الفكر العام أن يُدلوا بِدَلْوِهِم فيها ، إلا إذا وصلوا الى مرحلة امتلاك الأدوات والمناهج العلمية ، التي تقودهم فيها إلى بر الأمان .

ويؤسفني أن اكرر كلام الأستاذ برغوث بن المبارك حين قال عن المفكرين المسلمين المعاصرين (نتأسف كثيراً لما يحدث في عالمنا الاسلامي ، عندما نشاهد متخصصين مطلقين يتكلمون في كل العلوم بلا علم ولا دراية ، ما زالت تراودهم فكرة الموسوعية)[1].

ويتضح الأمر جلياً ، عندما ندرك الفارق بين الفقيه ، والفقيه الأدبي المتخصص (الناقد المنظِّر) وبين المفكر الإسلامي العام :

١- عمل الفقيه : ويبدأ عمل الفقيه من خلال فهم مقاصد القرآن الكريم جملة وتفصيلاً : الآيات العامة في دلالتها ، تفصيل الآيات العامة بآيات مخصصة لها ، تفصيل مجمل القرآن بتخصيص الحديث الشريف ، تفصيل مجمل الحديث بالأحاديث المخصصة له ، ثم الاستفادة من سنة النبي عليه السلام (التقرير والعمل) وعلوم السيرة وتفسير القرآن الكريم وسيرة الصحابة الكرام وعلماء الأُمة ، وجمع النصوص التي تخص القضية الواحدة، ويُلزم نفسه بالاطلاع عليها عند علماء الامة ، ويُخضع نفسه لمعطيات النصوص وما تريده منه ، ويبذل أقصى ما في وسعه لاستخراج الأحكام القطعية ، والاجتهاد في الأُمور التي لم يقطع بها النص ، ووظيفة الفقيه وظيفة عملية هدفها إرشاد الأُمة ، إلى الأحكام العملية لدينهم ، حتى يتضح للمسلمين وجوه الحلال

---

(١) كتاب (المنهج النبوي والتغيير الحضاري) مرجع سابق.

والحرام والمندوب والمكروه . وهو متخصص في كل قضية يفتي بها ، يجمع فيها بين علم الشرع وعلم القضية في واقعها . وهو مأجور من الله ، له أجران إنْ أصاب ، وأجر واحد إنْ أخطأ .

٢- الفقيهُ الأدبي (الناقد المتخصص في التنظير)

والفقيه الأدبي ، على وجه الخصوص ، لا يختلف في عمله عن بقية فقهاء الأُمة ، إلا بتعمقه وتخصصه في القضية التي يفتي بها (الأدب) فهو لا ينطلق من ذاته ولا حماسه ، فعمله يقوم على جمع النصوص من مصادرها الشرعية ١- القرآن الكريم : الآيات العامة ، آيات الشعر في العهدين (المكي والمدني) ، وما يخص الأدب والبيان البشري وخطر الكلمة من القرآن الكريم ٢- السنة النبوية (الحديث والفعل والتقرير) فيما يخص الشعر والأدب والبيان والكلمة وأثرها ٣- أدب الصحابة الكرام (الشعر والنثر) وهو الذي نال رضى الله وتقرير رسوله وقبول المسلمين ، وبالإضافة إلى علوم القضية الأدبية : تاريخ الأدب العربي ، ثم علوم اللغة العربية .

ويكرس جهده لاستخراج ثوابت القضية الأدبية (النظرية الإسلامية ، المقاييس النقدية ، نموذج الأدب الإسلامي و التطبيقات العملية) ثم ينتقل بهذه الثوابت (النظرية الإسلامية) ليحاكم الأدب العربي في عصوره المختلفة ، حتى يكتشف الفارق بين (النظرية) وامتدادها من خلال التطبيقات ، ليرى مدى استجابة المسلمين في أدبهم ، للفهم والنظرية الإسلامية في الأدب وفنونه على اختلاف أنواعها ؛ وبذلك يصل إلى مرحلة تفسير الظواهر وتعليلها ، وهو بهذا يرشد الأديب المسلم إلى طريق النهضة الأدبية ، ويحميه من مخاطر الإنزلاق والضعف .

٣- المفكر الإسلامي العام :

أما المفكر الإسلامي العام ، فهو انسان ، يدرك الخطوط العامة للإسلام ،

وقد يتعرف على بعض التفاصيل التي تُهِمُّهُ أو تخدم ملاحظاته ، ويكون عمله قائماً على ملاحظة عمل الفقهاء والمجتمع الإسلامي من خارج التطبيق العملي ، ليسجل ملاحظاته العامة ، إنه يشبه المراقب العام للتنفيذ ، يرى العموميات والعلائق ، ولكنه لا يدرك التفاصيل ، ويملك من الحرية ما لا يملكه الفقيه، وقد يشتط في هذه الحرية فيبتعد عن الهدف الذي يقصده النص الشرعي .

من خلال هذه المقدمة ، نحاول أن نتعرف على الجهد الذي قدمه المفكر الإسلامي الكبير محمد قطب للنظرية الإسلامية في الأدب من خلال كتابه المشهور (منهج الفن الإسلامي) ومن خلال النقاط التالية :

أولاً – انطلق محمد قطب في تنظيره للأدب الإسلامي ، من خلال العناوين التالية : طبيعة الإحساس الفني ، طبيعة التصور الإسلامي ، الانسان في التصور الإسلامي ، الواقعية في التصور الإسلامي ، العواطف البشرية في التصور الإسلامي ، الجمال في التصور الإسلامي ، القدر في التصور الإسلامي ، حقيقة العقيدة في التصور الإسلامي ، الفن الإسلامي حقيقته ومجالاته ، القرآن والفن الإسلامي من خلال مشاهد الطبيعية ، القصة ، مشاهد القيامة ، في الطريق إلى الأدب الإسلا مي ، نماذج من الشعر : محمد إقبال ، عمر الأميري ، طاغور الهندي ، سكينة بنت الحسين ، ابن الرومي .

نماذج من القصة والمسرحية : عبد الحميد جودة السحار ، امينة قطب ، ج . م سينج الايرلندي .

والقارىء للكتاب يلاحظ أنَّ محمد قطب انطلق في تنظيره مما انطلق منه دعاة الصحوة الإسلامية « الشمولية العقيدية » وكانت افكاره تدور حول انبثاق الفن الإسلامي من التصور الإسلامي (العقيدة) للكون والحياة ، ومن خلال سمات هذا التصور (التوازن ، الشمولية ، التوحيد ، الربانية ، الايجابية ، الواقعية) وبدأ يستعمل أدلته من الآيات ذات الدلالة العامة ، وهي بداية موفقة

إلى حد ما ، في جلاء المضمون العام للأدب الإسلامي ، شريطة أن يتبعها تخصيص وتحديد وتفصيل لهذه الدلالات العامة ، من خلال الآيات التي خصصت هذا العام وفصلته .

ويكون التخصيص بالانتقال إلى « الشمولية النظرية » حيث يتم جمع شواهد القضية الأدبية من القرآن الكريم والسنة الشريفة وأدب الصحابة الكرام (الشعر والنثر) في كل ما يخص الآيات والاحاديث التي تفصل قضايا الأدب ، والشعر ، والبيان ، واللغة ، ووظيفة الادب ، وطبيعة الأدب ، بهدف تفصيل الشمولية العقيدية بشمولية نظرية تطرح نظرية الإسلام في قضية الأدب من مصادرها الشرعية والأدبية ، حتى يكون التنظير حاملاً لصفتي (الشرعية والأدبية المتخصصة) .

ولكن الرجل ظل سابحاً مع شطحاته الفكرية المغرقة في العموميات ، من خلال الآيات العامة، إلى نهاية الكتاب . وحيث قام بإهمال جميع (الآيات) وجميع (الأحاديث) التي تفصل قضية الشعر والبيان وطبيعة الأدب وأهمية الكلمة ، ثم أتبع ذلك بإهمال وتجاهل (أدب الصحابة الكرام) . وأخذ ينظر لأدب اسلامي من خلال عموميات التصور وثقافته الفردية الخاصة المتصلة بالأدب الانجليزي .

وبذلك خالف منهج فقهاء الأمة في فهم هذا الدين ، وفتح الطريق لنفسه ولأصحاب الفكر العام للإفتاء في قضايا ، لا يستطيع الإفتاء بها إلا الفقيه المتخصص ، فكيف يكون التنظير إسلاميا؟! وصاحبه يدير ظهره لآيات القرآن الكريم ومفصل السنة الشريفة وادب الصحابة الذي نال «تقرير» الرسول عليه السلام .

ومن المعلوم أيضاً في أصول الفقه : (تخصيص عموم القرآن بالقرآن

وتخصيص عموم القرآن بالسنة وتخصيص عموم السنة بالسنة)[1] وتخصيص عموم السُنة فيما يخص الأدب بالتقرير النبوي لأدب الصحابة (النموذج الأدبي الإسلامي) .

كما أن حكمة الله سبحانه فصلت آيات العموم بآيات الخصوص والأحكام ، حتى لا تتفرق الأمة في التخصيص والتفصيل ، والمسلم ملزم بالخضوع للآيات العامة والآيات المخصصة لها معاً ، وإذا وقع في تخصيص العام على هواه ، وقع في الانحراف والضلال ، واخذ يفتي بما لا يعلم.

وبذلك وقع محمد قطب في الإفتاء المتعسف ، الذي وقع فيه كثير من دعاة الصحوة الإسلامية ، فكان صورة عن « الشمولية الفوضوية » التي نزلت بالإسلام إلى الواقع من خلال عموميات متناثرة ، ودون جمع لشواهد القضية الأدبية من مصادرها الشرعية والأدبية ، وتحكم المزاج والانطباعية والثقافة الشخصية في فهم الإسلام .

ثانياً: وخرج محمد قطب من كتابه بعد أن ضيع النظرية والمنهج ، ومن ضيَّع النظرية أضاع التطبيقات ، لأنها تصبح تطبيقات عمياء لا تهتدي بفقه أدبي واضح .

وتبين أن محمد قطب لا يملك من العلم بالأدب العربي إلا ثقافة سطحية ، لا تؤهله للتنظير ، فهو لا يعلم تاريخ الأدب العربي ولا مدارسه الفنية عبر التاريخ ولا يلم بإنتاجه عبر العصور ، ومن هنا لم يجد نماذجه الأدبية ، التي ترضي ذوقه ، فاختار نماذجاً مضحكة لتمثيل الأدب الإسلامي ، يقول الدكتور نجيب الكيلاني : وهو واحد من رواد مدرسة «منهج الفن الإسلامي » معترفاً بذلك (وقد لاحظت في كتاب منهج الفن الإسلامي ، أنَّ المؤلف لم يقم بعملية مسح

(١) كتاب (تيسير الوصول إلى الأصول ص ١٦٨ - ١٦٩) اعداد: عطا أبو الرشدة / عمان - الأردن / ١٩٨٨.

أدبي ، يحصر ما يسمى بالأدب الإسلامي في القديم أو الحديث ، سواء في عالم القصة أو المسرحية أو الشعر ، ومن جهة أخرى عندما أراد أن يقدم بعض النماذج للاستشهاد بها ، لم يجد سوى قليل من الأدب العربي والإسلامي ، ومن ثم استشهد ببعض إنتاج لطاغور ، والكاتب المسرحي الايرلندي سينج و (وهما ليسا مسلمين) وإن اتفقنا في كثير من وجهات النظر مع المفهوم الذي حدده)[1]

وبذلك كان محمد قطب داعية من دعاة الفوضى في التنظير النقدي ، وفشل عندما حاول أنْ يدخل عالم التنظير النقدي بعقلية « المفكر العام » ، وبذلك ضيع على النظرية الإسلامية الأدبية المبحوث عنها ، فرصة البداية العلمية والمنهجية للتنظير المؤصل شرعياً وأدبياً .

وظهر خطر منهجه عندما التف حول كتابه مجموعة من المنظرين ، الذين يجهلون الجانبين الفقهي والتخصصي ، فأخذ كل واحدٍ منهم يُفصل لنا أدباً إسلامياً ، على رغبته وهواه معتمداً على الوثيقة الخامسة (وثيقة الطموحات) بعد أن أداروا ظهورهم للوثائق الثلاث الاولى ، أما الوثيقة الرابعة (وثيقة الاستمرارية) فلم يستثمروها إلا في الانتاج الإسلامي المعاصر وبطريقة ضيقة.

واستطاع هذا التيار ، أن يسيطر على دفة التنظير في هذا الاتجاه أكثر من ثلاثين عاماً .

وكان من أشهر المنظرين لهذه المنهجية العامة الطبيب الروائي الدكتور نجيب الكيلاني في كتابه (الإسلامية والمذاهب الأدبية) والمؤرخ الدكتور عماد الدين خليل في كتابه (النقد الإسلامي المعاصر) ، والدكتورصابر عبد الدايم في كتابه (الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق) وأحمد العناني في كتابه (الأدب الإسلامي) .

---

(١) الإسلامية والمذاهب الأدبيّة ص٦ / نجيب الكيلاني / مكتبة النور / طرابلس الغرب ١٩٦٣.

وتابعهم على نفس المنهج بنسب متفاوتة مجموعة من أهل التخصص ، ثم بدت تظهر عليهم علامات الاستقلال في كتاباتهم المتأخرة أمثال : الدكتور عبدالباسط بدر ، والدكتور مصطفى عليان ، والدكتور بسام أحمد ساعي ، والدكتور عبدالقدوس أبو صالح ، ومحمد أحمد الحسناوي ، ومحمد حسن بريغش ، وصالح حكمت ، ويوسف العظم ، ويمكن للقارىء المدقق أن يرى بعض السمات المشتركة لهؤلاء الكتاب والنقاد ، منها :

١- تنظير نقدي يتحرك من خلال أفكار فرديّة عائمة، تميل إلى الدراسة التطبيقيّة من خلال منظار ذاتي، لأن من ضيع (الوثائق الثلاث الأولى) أضاع أصول النظريّة ومن أضاع النظريّة ضل في التطبيق.

٢- ميل هؤلاء إلى تبني المواصفات العالميّة، لنظريات النقد الأدبي، المسيطرة على الساحة الأدبيّة على علاتها، ودون تحديد أو تمحيص لما يُراد ولما يُرفض.

وبذلك جرت هذه المدرسة النظريّة الإسلاميّة المبحوث عنها، إلى تبني الأعراف النقديّة المسيطرة ، دون أن تبذل جهداً في بلورة النظريّة الإسلاميّة ، وهكذا وقعت في فخ الانتماء للعالميّة، تحت لافتة (الحكمة ضالة المؤمن) قبل أن تحدد الفهم الإسلامي الأصيل للأدب ، وتنطلق من هذا الفهم نحو العالميّة للمشاركة فيها ، وهذا الموقف الذيلي ينمي التبعية للخصوصية الأوروبيّة المسيطرة ، وهذا هو انفتاح الضعيف الذي لا يميز حكمته من حكمة الآخرين ، والسبب في ذلك عائد لغياب النظريّة الإسلاميّة عندهم ، والأساس أن نرى منهم إبداعاً واجتهاداً يوضح الخصوصيّة الإسلاميّة ، التي نتسلح بها ضد الغزو الثقافي ، فننافس الثقافة الأوروبية في بناء الثقافة الإنسانيّة ، ولكنهم اختاروا موقف المُحتمي بالسقف الثقافي الأوروبي ، تحت اسم العالميّة ، واكتفوا بطرح قضايا المضمون في الأدب الإسلامي ، لأنهم عجزوا عن تقديم النظريّة . يقول الدكتور نجيب الكيلاني (التنظير للأدب الإسلامي لا يثير كثير جدل في ناحية

المضمون ، لكن الأشكال الفنيّة التي لا تكاد تستقر على حال ، والتي تختلف فيها الأذواق والأفهام والمناهج الفلسفيّة هي المشكلة ، بل أكاد أقول هي العقبة التي تعترض طريق الباحثين عن نظريّة سوية للأدب الإسلامي)[1] ويؤكد عمادالدين خليل تبنيه لهذه المواصفات بقوله : (ولا شك أننا إذا تحدثنا عن (منهج إسلامي) يساير النصوص المتراكمة ويغنيها بالبحث والتحليل تجد أنه لا يزال قاصراً عن الإحاطة بميكانيزمات (الأدوات الفنيّة) للنص الأدبي وهو بالتالي بحاجة إلى المزيد من التنظير والتنظير يعني التأسيس . وهذا معناه أننا بحاجة إلى معايير جماليّة تواكب تطور النصوص ، بغض النظر عن المضامين التي تمتح منها «الاسلاميّة» نفسها إن الأدب والنقد الإسلاميين في أمس الحاجة للاستعانة بالتقنيات الغربيّة، فرغم أننا قد نرفض مضامينهم - لمجموعة من الأسباب ... - لكن صيغ الخطاب الإبداعي تفرض حضورها وثقلها بسبب نضجها وتفوقها، لأنها حصيلة تراكم في الخبرة الجماليّة، يمتد على مدى قرون طويلة من الزمن، وهي في كل الأحوال فرصة لتحسين أدواتنا الإبداعيّة والنقديّة ..)[2] .

٣- توزعت جهودهم بين الفكر الإسلامي والحماس للقضيّة الأدبيّة إسلامياً، وحاموا حول النظريّة الأدبيّة دون أن يدخلوا إلى صميمها، لغياب الخبرة الكافية في الجانبين الشرعي والأدبي ، فعلى سبيل المثال نجد تناقصاً غريباً في المنهجيّة لغياب هذه الخبرة ، يقول عبدالباسط بدر (لا يمكن أن تكون هناك نظريّة للأدب الإسلامي بدون نصوص أدبيّة تقوم عليها وتستخرج منها)[3] بينما

---

(١) كتاب مدخل إلى الأدب الإسلامي ص١٩/ نجيب الكيلاني/كتاب الأمة ١٤/ قطر.

(٢) عن مقالة (أم سلمى) القصة الإسلاميّة في المغرب/ مجلة الفيصل ٢٣٧/٩٦ ص٤٥ منقولة عن حوار مع عمادالدين خليل مع مجلة المنعطف العدد ٧١٦/٩٣.

(٣) نقلاً عن مجلة المجتمع الكويتيّة / مرجع سابق.

نجد نجيب الكيلاني يناقضه بقوله (فليس خطأ إذن أن نحاول التخطيط للإسلاميّة (في الأدب) وإن لم يكن لدينا النماذج الكاملة المحددة كل التحديد)[١] لقد تجاهل دعاة الأدب الإسلامي المعاصر أدب الصحابة في بحثهم عن نماذج ونصوص تستخرج منها مقاييس الأدب الإسلامي ، واعتبروا أدب الصحابة نتفاً لا تروي غليلهم ، لأنهم لم يُتعبوا أنفسهم في تحقيق نماذجه والبحث عنه لا من مصادره الأدبية ولا من مصادره الشرعية .

ثالثاً: وبعد أكثر من ثلاثين عاماً من سيطرة هذه المدرسة بدأت جهود أهل التخصص تعود إلى الساحة الأدبيّة ، وهذه الجهود تبشر بتصحيح المسار الإسلامي لهذا التنظير، وحيث بدأت تظهر علامات الاستقلال والتمرد على منهجيّة مدرسة الفن الإسلامي ، في جهود عدد لا بأس به من النقاد ، أمثال :

الدكتور عبدالباسط بدر في كتابه (مقدمة لنظريّة الأدب الإسلامي)[٢] .

والدكتور مصطفى عليان في كتابه (مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي)[٣] .

والدكتور صالح ادم بيلو في كتابه (من قضايا الأدب الإسلامي)[٤] .

والدكتور أحمد بسام ساعي في كتابه (الواقعيّة الإسلاميّة في الأدب والنقد)[٥] .

والأستاذ يوسف العظم في كتابه (الشعر والشعراء في القرآن والسنة)[٦] .

وغيرهم من الكتاب .

شريطة أن يتخلص هؤلاء الكتاب من بقايا تأثير مدرسة منهج الفن عليهم ، وضرورة الانتقال من العمومية التي شجعها الفكر الإسلامي العام إلى منهج

---

(١) الإسلاميّة والمذاهب الأدبية ص ٨ / نجيب الكيلاني مرجع سابق.

(٢)،(٣)،(٤)،(٥) جميع هذه صدرت عن دار المنار – جدة – السعوديّة.

(٦) هذا الكتاب صدر عن دار الأقصى – عمان.

الفقيه الأدبي ، والبحث عن خصوصيّة الفن الإسلامي ، وعدم تبني الأعراف الأدبيّة السائدة ، لأنها سوف تتغير ، والعودة إلى التأصيل الشرعي والأدبي ، وضرورة البحث عن النظريّة ثم الإنطلاق منها إلى التطبيق .

رابعاً: وأخيراً وليس آخراً ، فقد كان الهدف من التركيز على محمد قطب واخوانه ، هو ايضاح مسيرة التنظير للأدب الإسلامي ، وليس الانتقاص من فكرهم الذي قدموه للأُمة فقد كانوا رُواداً متحمسين لإسلامهم ، حاولوا أن يسدوا ثغرة من ثغرات الضعف ، ولكنهم تعثروا ، لضعف الأدوات وسيطرة التفكير الموسوعي ، الذي لم يستطيعوا التخلص منه وليس نقد مسارهم التنظيري إلا تقييماً لجهودهم ، وتقديراً لفكرهم ، ولا أحب مجاملات السكوت التي يمارسها بعض المحبين ، حين أرى خضوعهم لهالة الشهرة التي تحيط بهؤلاء الرواد الكبار ، لأنها تؤدي إلى إهمال فكرهم وركوده ، مع أنَّ نقد فكرهم يعطيه الحياة والإهتمام ويساعد على الحيويّة والاستمرار، وأن ترمي حجراً في بركة المياه الراكدة فتساعدها على طرد السكون والعفن ، أفضل بكثير من الخضوع لهالات الشهرة التي تؤدي إلى تراكم الأخطاء في فكر الأمة ، ويقودها إلى العجز والكسل . وكل انسان يجب أن يناقش في فكره ويُؤخذ منه ويرد ، إلا صاحب ذلك القبر صلى الله عليه وسلم كما قال الإمام مالك .

مع اعذاري لهؤلاء المفكرين ، لصعوبة البدايات ، عندما يتحسسون طريق النهضة لأُمتهم وسط الظلام ، الذي يتحسس فيه الرواد الطريق تحسساً، واعتذاري لهم إن أغلظت في بعض الأحيان ، ولو توقف محمد قطب عند ابداعه في (الفكر الإسلامي العام) ونجيب الكيلاني عند ابداعه في (الرواية الإسلاميّة) وعماد الدين خليل عند ابداعه في (الدراسات التاريخيّة) ، لكان أفضل لهم وللأدب الإسلامي ، لأن الله سبحانه وتعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه .